عادل الطريفي..رب ضارة نافعة

في عام ١٩٩٧م تعرض عادل زيد الطريفي (٢٩ عاما) لحادث سير دخل على إثره في غيبوبة لمدة ٣٣٦ ساعة. خرج منه مضرجا بآلامه. وتهشم حلم والديه المتمثل في مواصلته دراسة الطب التي بدأها. فلم يعد بوسعه أن يكون طبيباً جراحاً كما كانا يتمنيان. أصبح لا يستطيع الاعتماد على يده اليسرى، ولا الوقوف طويلا لإجراء عملية. رقد في الفراش ١٢ شهراً صرفها في قراءة كتب الفلسفة والسياسة، ومشاهدة والديه وهما يتجرعان الحزن.

استأنف الدراسة متخصصا في الهندسة الطبية في جامعة الملك سعود في الرياض بعد أن استطاع أن يتحرك بمساعدة العكازين. واتجه للكتابة ليروض الآلام التي اجتاحت

أطرافه. استهل مشواره مع الحرف مع صحيفة «المحايد» التي كان يقودها وقتئذ الزميل عبدالعزيز الخضر. ثم انتقل إلى الكتابة في صحيفة «الوطن» عام ٢٠٠٢. فقد أرسل مقالا عن العمليات الاستشهادية إلى صفحة (نقاشات)، وفوجئ بنشره في صفحة الرأي بعد أن نال إعجاب محرر الصفحة الدينية آنذاك، الزميل منصور النقيدان، ونائب رئيس التحرير السابق الدكتور عثمان الصيني. واصل كتابته في «الوطن» حتى حصل على مقعد أسبوعي في صفحة الرأي متخصصا في السياسة الإقليمية إلى عام ٢٠٠٥. ولفتت مقالاته السياسية التلفزيونات التي استضافته معلقا ومحللا.

يتذكر ظهوره الأول في التلفزيون السعودي: «صُدم معد البرنامج عندما شاهدني، وسألني كم عمرك؟». فلم يكن يتوقع أن ضيفه غض طري في مطلع العشرينيات كون صحيفة «الوطن» لا تنشر صور الكتاب مع مقالاتهم. يقول عادل: «كاد يطردني المعد من الأستوديو، لكن موعد البرنامج أزف ولا يوجد بديل». ظهوره التلفزيوني الموفق جعله ضيفا مفضلا للعديد من القنوات الفضائية العربية.

نجاحه الكتابي والتلفزيوني عزز قناعاته المبكرة بضرورة التركيز على السياسة في دراسته العليا. عندما تخرج من

جامعة الملك سعود التحق بشركة سيمنس الألمانية للتدريب والعمل. وفي عام ٢٠٠٦ حصل على منحة بحثية مقدمة من برنامج شيفيننج للزمالة. وفي عام ٢٠٠٧ حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة كينجستون يونيفرستي لندن. ويدرس حاليا الدكتوراه في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، متخصصا في محاور القوى بعد سقوط بغداد: التحالفات والنزاعات في الشرق الأوسط.

متابعته لدراسته العليا لم تدعه يغيب عن الإعلام، بل ازداد توهجا. فبات اسما مألوفا في الإعلام الغربي؛ حيث تظهر تحليلاته السياسية على صفحات جريدة النيويورك تايمز، والواشنطن بوست، والكريستاينس ساينس مونيتور، ولوس أنجلس تايمز. كما له كتابات منشورة في صحف كـ «الدي- تزايت الألمانية، وتقرير سيفيلتي للشؤون السياسية، ومجلة بيتر- ليمن إنترناشونال».

ولم يغب أيضا عن الوطن إذ ظل حاضرا عبر مقالة أسبوعية في صحيفة «الرياض»، وحضور دائم على قناة «العربية» معلقا ومحللا.

ويدين عادل بالفضل لوالديه في نجاحه إعلاميا. فقد يكون نائما فتحدث أزمة سياسية، أو عملية حربية ثم توقظه أمه لتطلعه على الخبر. أبوه وأمه هما أحد مصادره، حينما لا يكون بجوار التلفزيون أو الإنترنت. كما يعده ناقديه الأولين. فبعد كل تعليق تلفزيوني يظهر فيه يقدمان له قائمة بالأخطاء التي اقترفها. كم مرة قال (آآآه). وكم مرة كرر كلمة محددة بتبذير. أصبحا يثقفان نفسيهما في القضايا السياسية من أجله. إنه ممتن لهما بشدة. كما هو ممتن لمكتبة خاله، جابر الفهيد التي شرعها له ليسبح فيها.

ولم يخفِ الطريفي تأثره المبكر بكتب توفيق الواعي، ومحمد قطب. يبرر: «لم تكن أمامنا خيارات كثيرة حينذاك». عدم توافر الخيارات يؤرق عادل ويقلقه يقول: «الأسر ترغب في أن يكون أبناؤها مهندسين أو أطباء، ولا يرحبون بأن يجرب ابنهم أو ابنتهم شيئا جديدا». فيضيع الكثير من المواهب في تخصصات لا تبتغيها!

عادل نفسه، كاد يصبح طبيبا وكنا سنفتقده كاتبا ومعلقا. الحادث الذي تعرض له هو الذي منحه الفرصة للقراءة المتعمقة والكتابة.

علينا أن نسبر أغوار أبنائنا، وننقب عن مواهبهم وإبداعاتهم المدفوعة حتى يصبح لدينا أكثر من باحث يقظ، وأكثر من سياسي بارع. قطعا، نحتاج آلاف الأطباء والمهندسين، ولكن أيضا نحن في حاجة إلى الكثير من الكتاب والباحثين الموهوبين.

عادل أمنية كل أم، وكل أب. فهو كاتب مشوق، ومعلق واعد.

كلما شاهدته على الشاشة، التصقت بها؛ لأتصفح رؤيته الذكية وعينيه الغائرتين.

ربما لا يستطيع عادل أن يقف على قدميه طويلا، لكنه يستطيع أن يحلل كثيرا ويحلق بعيدا.

نشر في يوم الجمعة ٢٣ ذو القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م